«الحُجّتية».. تنظيم «خامنئي» السري الذي يحكم إيران

«الحُجّتيون» نفذوا عمليات اغتيال لمعارضي النظام الإيراني.. وقاموا بتصفيات جسدية ضد رموز السُّنة في العراق

إســـراء حبيـب

■■ بـدأ يـتـردد فـي وسائل الإعلام خلال السنوات الأخيرة تعبير «الحُجّتية» وهو تنظيم إيراني دموي تأسس قبل أكثر من ٦٠ عاماً، ويعود التركيز المتزايد على هـذا التنظيم المتطرف إلى ما تشهده الساحة العراقية الآن، من تصاعد عمليات القتل والاغتيالات والتصفية الجسدية على نـطـاق واسـع فـي المناطق السنية، على اعتبار أن عـودة «المـهـدي المنتظر» عند الشيعة ستتحقق سـريـعـا بـعـد إشـاعـة الفوضى في الأرض.

و «الحُجّتية» تنظيم سري أسسه الداعية الإيراني الراحل محمود تولائي، المعروف بـ«الشيخ حـلـبـي» فـي أعـقـاب الانـقـلاب العسكري الذي وقع ١٩٥٣ وأطاح بحكومة رئيس الـوزراء الإيراني محمد مصدق، وكانت البلاد في تلك الـفـتـرة واقـعـة فـي حالة اضطراب سياسي، مكنّت أعضاء التنظيم من العمل بحرية تامة.

وكان الهدف من وراء تأسيس هذا التنظيم هو «الدفاع العلمي عـن مـذهـب التشيّع والعقيدة المهدوية» في مواجهة تحديات ماثلة آنـذاك مثل «البهائية» والشيوعية، غير أنه لم يقف ضد نظام الشاه السابق محمد رضا بهلوي مطلقا. ونجح التنظيم فـي تجنيد جيش مـن الشباب المتطوعين مـن أبـنـاء الطبقة المتوسطة الإيـرانـيـة، لمواجهة الجماعات الدينية والسياسية المنافسة في إيران مثل «البهائيين» وحزب «تودة» الشيوعي الذي كان قوة سياسية ضاربة لا يُستهان بها في البلاد آنذاك. وهكذا قام «الحُجّتية» بنشاطات كـان لها صدى دولـي، إذ اعتبرته وسائل الإعـلام خـارج إيـران تنظيما شيعيا متطرفا.

وقال الرئيس الأسبق محمد علي رجائي عن التنظيم: "بينما كان الأخوة والأخوات يصرخون مـن وطـأة التعذيب فـي سجون الشاه، كان هؤلاء الحُجّتية يعملون على إثـبـات بـطـلان البهائية، وكانوا يعارضون الكفاح المسلح، وهاهم يظهرون الآن ويعقدون الاجتماعات ويتحدثون. هذا انحراف واضح وحاسم ومؤكد".

الجماعة المنحرفة

بـعـد ثـــورة ١٩٧٩، كـان التنظيم قد أدى مهمته بالنسبة للحكام الجدد من الملالي، وآثر «الحُجّتيون» تأجيل خلافاتهم مع نظام الخميني، رغم إيمانهم بأن نظام ولاية الفقيه اغتصب ولاية المهدي، وأسهم في تأخير ظهوره، وأن كل دولة تظهر قبل المهدي هي دولة طاغوت غير شرعية. غير أن الحال سرعان ما تبدّل، ففي مطلع الثمانينيات، ظن الشيخ الحلبي أن بإمكانه السجال مع الخميني شخصيا، فقال إنه «أعلى منه منزلة، لا بعلمه أو بشعبيته، وإنما لأن الإمام المهدي يأتيه في الأحلام»!

وعلى الفور، هاجم الخميني زعيم الـثـورة في خطبة عيد الـفـطـر سـنـة ١٩٨٤ التنظيم بـاعـتـبـاره «جـمـاعـة منحرفة» قـائـلا: «إنـه جماعة مشروعها إشـاعـة الـفـسـاد حـتـى يظهر المهدي، لكن لماذا يأتي المهدي؟ هو يأتي حتى تزول المعاصي ونحن نرتكبها حتى يأتي؟ احذفوا هذه الانـحـرافـات.. إذا كنتم وطنيين احذفوا الفئوية من أجل بلدكم.. واكبوا التيار ولا تسيروا خلافه فإنه يكسر أعضاءكم».

ومـنـذ ذلـك الـحـين، أوقـف تنظيم «الحُجّتية» نشاطه العلني، ودخـل فـي سـراديـب السرية والأساليب الغامضة أكثر من أي وقت مضى. وقـال التنظيم في بيان له: «رغم أن خطاب السيد الخميني ليس موجها لنا، فقد قررنا وقف النشاط بأوامر من الشيخ محمود حلبي، حفاظًا على الوحدة والانسجام الوطني وحفظ المصالح القومية، ولقطع الطريق على أجـهـزة الدعاية الأجنبية».

ونشط التنظيم سـرًا وسط المناطق السُنية في إيران للضغط على أهل السُنة والجماعة، عبر توزيعه مئات الكتب والمنشورات المسيئة للصحابة والخلفاء رضي الله عنهم، تتضمن إساءات لأتباع المذهب السُني، ما أدى إلى غضب واسـتـيـاء شعبي بـين الأوسـاط الشعبية في تلك المناطق، خاصة في إقليم «بلوشستان».

وإبـــان صـعـــود مـحـمـود

أحمدي نجاد، الرئيس السادس للجمهورية الإيرانية، في المشهد السياسي، وحديثه عن الارتباط بـ«المهدي المنتظر» في إدارة البلاد، بل وكشفه عن مخطط لـ «إدارة العالم» بالتنسيق مع «المهدي» المزعزم، في تلك الحقبة عاد «الحُجّتية» بقوة إلى الأوساط السياسية في إيران، حيث طبق تيار «نجاد» شعار العمل الثقافي وحراسة أيديولوجية الثورة، الذي رفعه التنظيم الدموي من قبل، ولكن بأساليب جديدة.

وفي ٢٠٠٩ تقدم «الحُجّتية» بطلب رسمي إلى الجهات الأمنية لإعادة نشاطه بشكل علني من جديد، بعد أعوام طويلة من العمل السري، وربط الكثيرون في إيران عودة التنظيم للعلن بالدعم الذي تلقاه من بعض مراجع الشيعة وعلى رأسهم محمد تقي مصباح يزدي عضو رابطة حوزة «قم» الأب الروحي لـ «نجاد» في الوقت الذي كثر الحديث عن «تيار منحرف» في إشارة إلى عودة تنظيم «الحُجّتية» في جماعة جديدة أطلقت على نفسها «طريق الحقيقة» وأسست مراكز لها في عدد من المدن الكبرى الإيرانية.

وهكذا، عاد «الحُجّتية» إلى الظهور في البلاد، وحظي بدعم كبير من علي خامنئي، المرشد الحالي، الذي استعان بالتنظيم في أنشطة سرية لم يُكشف النقاب عنها، غير أن ما ظهر منها للعيان يكفي للتأكيد على أن التنظيم يمارس أعمالا دموية ضد أهل السُنة ومعارضي النظام.

غير أن تغلغل «الحُجّتية» في مؤسسات الدولة الإيرانية، وسيطرته على العشرات من كبار القيادات السياسية، جعلا الربط بين الممارسات الإيرانية في الداخل والخارج وبين مبادئ هذه الفرقة، يكتسب وجاهة كبيرة. إذ تروج في الأوساط الإيرانية معلومات متداخلة عن انتماء مسؤولين سياسيين كبار إلى «الحُجّتية»، وذهب البعض إلى القول بأن الجناح المتطرف في إيران هو «الجناح الحُجّتي». بل إن تصريحات ومواقف البعض من المسؤولين الإيرانيين ومنهم «نجاد» نفسه، ومدير مكتبه أسفنديار رحيم مشائي وأحمد جنتي، رئيس مجلس خبراء القيادة في إيران، وبعض القيادات الدينية في قم وغيرهم، هي استحضار لخطابات وأطروحات محمود الحلبي وصحبه.

ونظرًا لدعوتهم إلى إشاعة فوضى الفواحش تمهيداً لظهور «المهدي»، يجتذب «الحُجّتيون» حاليا أعدادًا غفيرة من الشباب الإيراني، وضموا إلى صفهم شخصيات ذات وزن سياسي كبير، بسبب نفوذهم الذي تصاعد بقوة، وأسهم في نجاحه أسلوب العمل السري الذي يتبّعونه، فهم أشبه بجمعية ماسونيّة، تصطاد الكوادر والنخب وتتغلغل من خلالهم في مؤسسات الدولة الحساسة، وتقدم لهم - في المقابل- فرصًا ومنافع تجارية واقتصادية وسياسية كبيرة.

ونفذت الجماعة في ثوبها الجديد خلال السنوات الأخيرة أعمال تفجيرات واغتيالات واسعة في إيران في صفوف السياسيين ورجال الدين المعتدلين، من معارضي النظام الإيراني، كما قامت بتصفيات جسدية ضد رموز السُنة في العراق. وفي فبراير ٢٠٠٦ دعت «منظمة العفو الدولية» السلطات الإيرانية لفتح تحقيق بشأن هجوم قامت به مجموعات من «الحُجّتية» ضد أعضاء من طائفة «نعمة الله» الصوفية، تسبب في إصابة العشرات من بينهم نساء وأطفال.

وفي مطلع الثمانينيات، كان من السهل التعرف على شخصيات نشأت في حضن «الحُجّتية» مثل وزير الخارجية الأسبق علي أكبر ولايتي. أما اليوم، فيصعب الفصل بين من ينتمون فعلاً إلى الجماعة وبين المتأثرين بها.

ومن الغريب أن «الحُجّتيين» يعمدون إلى إطفاء الأضواء في منازلهم ليلا، لكي يدخلها الإمام الغائب. غير أن هذا «الجانب الشاعري» من الأمر، لم يمنع الاغتيالات التي دبرتها شبكات «حُجّتية" لشخصيات تعتبر الجماعة أنها «تعترض سبيل عودة المهدي الغائب»!

كتاب العدد

«إيران الخفية»

تجدر الإشارة إلى أن «راي تقية» هو أمريكي من أصل إيراني، شيعي، ولد في طهران ١٩٦٦، ومثل هؤلاء الباحثين الأمريكيين/الإيرانيين/الشيعة هم من يقود توجيه السياسة الأمريكية في موضوع إيران، مثل: كنعان مكية، وأحمد الجلبي، ونصر والي، وفؤاد عجمي!!

يتوزع الكتاب على: ثمانية فصول ومقدمة، يشرح فيها الفهم الخاطئ لإيران، وخاتمة يبين فيها وجهة نظره لفهم إيران بشكل صحيح؛ بعد بحثه لمختلف الجوانب التي لا تفهم فيها بشكل صحيح في الفصول الثمانية.

يستهل الفصل الأول بشرح إرث الخميني؛ الرجل الذي أسس نظام الجمهورية الإسلامية، ولا زال فكره ومنهجه يحكم سياستها الخارجية.

وفي الفصل الثاني يتطرق إلى التركيبة السياسية الإيرانية، ويقسمها إلى ثلاثة أصناف: المحافظين؛ ويمثلهم المرشد على خامنئي، واليمين المتشدد، و براغماتيين؛ وهم العناصر الأكثر اعتدالاً وبراغماتية ومرونة ضمن المؤسسة الدينية، الذين التفوا حول أكبر هاشمي رفسنجاني، وبرزت طبقة فاعلة من علماء الدين والمفكرين الإصلاحيين.

ولكل تيار من هؤلاء مراكز نفوذ داخل مؤسسات الحكم، وقدر من التأثير، ويمر كل منهم بمراحل قوة وضعف على عكس ما يتصوره المراقبون الغربيون من جمود السياسة الإيرانية.

وفي الفصل الثالث يعرج الكاتب على موقع إيران في الشرق الأوسط الكبير، وفهم سياستها الإقليمية؛ عبر النظر إلى ثلاثة محاور: الخليج العربي، والمشرق العربي، وأوراسيا، حيث يمثل الخليج العربي الأهمية الكبرى بما يفوق مكانة المشرق العربي وآسيا.